



+ آباؤنا القديسون

القديس أنطونيوس الكبير

كان أنطونيوس مصري النسب، وكان أهله من أعيان البلد وذوي ممتلكات عديدة، وكانوا مسيحيين فتربى تربية مسيحية. شب منذ صغره على محبة الله مريداً أن يقيم في بيته كإنسان بسيط متجنباً معاشرَةَ الآخرين، غير أنه لم يتهاون في الذهاب إلى الكنيسة. بعد موت أبيه بقي أنطونيوس وحيداً مع أخته الصغيرة جداً، فاهتم بالبيت وأخته إلى حين سمع نداء الرب في الكنيسة بلسان الكاهن عندما كان يقرأ الإنجيل "إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل ما تملكه ووزع ثمنه على الفقراء فيكون لك كثر في السماء وتعال واتبعني" (متى ١٩ : ٢١). أحس أنطونيوس وكأن هذا المقطع الإنجيلي قرأ له وحده، فللحال خرج من الكنيسة ووهب كل الممتلكات التي ورثها من والديه إلى أبناء قريته وخاصة الفقراء منهم، محتفظاً بالقليل لأخته.

عندما قرر التفرغ للتسك أسكن أخته في بيت للعداري لتتربى فيه وراح ينتقل من ناسك إلى ناسك ليستزيد خبرة روحية. تعرض عدة مرات لهجمات متنوعة من الشيطان الذي كان يحاول خداعه لكنه لم يفلح أمام عزم أنطونيوس السلك طريق الملوكوت، فكان يقسو على جسده ويستعبده أكثر فأكثر خوفاً من أن يقع في خطيئة ما، بينما انتصر في أخرى. أراد أن يمارس التسك القاسي، وقد تحمل التعب بسهولة لأن نشاط نفسه قوى في ذاته هذه الفضيلة، حتى أنه إذا تلقى توجيهاً صغيراً من الآخرين، أظهر له حماساً كبيراً. كثيراً ما كان يقضي الليل ساهراً وكان يأكل مرة واحدة في النهار بعد غروب الشمس، وتارة كل يومين، وأحياناً كثيرة مرة كل أربعة أيام. وكان طعامه خبزاً وملحاً وشرابه الماء وحده. كان يكتفي ببساط للنوم، وفي أغلب الأحيان كان ينام على الأرض. بعد عشرين سنة من حياة العزلة خرج أنطونيوس من صومعته لتلبية لطلب الرهبان الذين كانوا يأتون إليه للاسترشاد الروحي. وقد تحولت الصحراء إلى مدينة يقطنها الرهبان، والأديار أصبحت مساكن مملوءة بالأجواق الإلهية التي ترتل وتنشد كلمة الله وتصوم وتصلّي وتفرح برجاء الخيرات الآتية وتجاهد في الإحسان، وقد سادت بينها المحبة والتآلف.

وفي أيام اضطهاد مكسيميانوس ترك أنطونيوس الصحراء إلى الإسكندرية ليخدم المعترفين بالإيمان في السجون والمناجم ويشدد غيرهم في المحكمة كما كان يقبل الشهداء ويرافقهم حتى يقضوا نحبهم. والجدير ذكره أن أنطونيوس كان يتوق للاستشهاد وقد حزن كثيراً أنه لم يستشهد. إلا أن الرب صانه من أجل منفعة الرهبان ومنفعتنا جميعاً حتى يكون أباً ومعلماً للتسك والرهبان.

ترك أنطونيوس الدير مرة أخرى ليشدد المؤمنين في المدينة مزدرباً وداحضاً هرطقة آريوس ومعلماً الشعب أن المسيح هو ابن الله، ليس مخلوقاً ولم يخلق من العدم، بل هو الكلمة الأزلية لجوهر الله وحكمته.



+ آباؤنا القديسون

كان أنطونيوس رجلاً ذكياً وحكيماً، ومع أنه لم يتعلم القراءة والكتابة فقد حاور الفلاسفة الذين أتوا إليه ليُجربوه طالبين منه كلمة في الإيمان بالمسيح. إلا أنهم عادوا مندهشين ومعترفين بأنهم قد نالوا فوائد كثيرة من هذا الرجل القديس.

صنع أنطونيوس عجائب عدة، لكنّه لم يشفِ المرضى بأمره بل بصلاته وبدعاء المسيح ليظهر للجميع أنّ الربّ وحده هو طبيب النفوس والأجساد. وقد شفى المسيح الناس بواسطة أنطونيوس الذي اعتُبر كأنّه الطيّب الوحيد الذي وهبه الله إلى مصر.

عاد أنطونيوس إلى الصحراء الداخليّة حيث اعتاد الإقامة، وقد مرض مرضاً شديداً بسبب تقدمه بالسّن إذ عاش ١٠٤ سنين وغداً قدوة في الفضيلة والإيمان ونموذجاً للمتوحّدين. وفي شيخوخته خدمه ناسكان كانا قد نسكا معه ١٥ عشرة سنة، فأوصاهما أن يدفناه تحت التراب وأن لا يُعلما أحداً عن موضعه. تعيّد له الكنيسة في ١٧ كانون الثّاني ذكرى انتقاله إلى الأخدار السّماويّة، فبشفاعاته اللّهم ارحمنا وخلصنا، آمين.

+ من أقوال القديس أنطونيوس:

”ضع مخافة الربّ نصب عينيك دائماً. تذكّر ذلك الذي يميت ويحيي (١ مل ١١ : ٦). ابغضوا العالم وكلّ ما في العالم. امقتوا كلّ راحة جسديّة، ازهدوا في هذه الحياة لتحياوا لله، تذكّروا وعدكم له إذ إنّه سيُطالبكم به يوم الدّين، كابدوا الجوع والعطش والعري والأسهار، نوحوا وابكوا وتنهّدوا من قلوبكم، امتحنوا أنفسكم هل أنتم أهل لله. قهوانوا بأجسادكم لتخلصوا نفوسكم“ .

”رأيت فحاخ العدوّ منبثقة في الأرض كلّها فقلت متنهّداً: ترى من يسلم منها؟ فسمعت صوتاً يجيب: المتواضعون“ .